من النقل انتهاءه من طلب العلم في تلك الجامعة فقدم الى مصر حاملا ذلك السفر الممتع الجليل وباشر طبعه توا في مطبعة المعارف الشهيرة طبعا جميلا متقنا وهو يقع في ثلاثمائة وستين صفحة من الغرار الكامل

وهذا نموذج مانقله ذلك الفاضل من صفحات هذا الكتاب بالفوتغراف

وقد وقف على طبع هذا الكتاب وضبطه وعلق حواشيه ذلك الفاضل فجاء وافيا شافيا . وانا لنثني عليه أطيب الثناء بما أحسن الى أمته وبما بذل من الجهد الجهيد في ابراز هذا الاثر النفيس أكثر الله من أمثاله المخلصين

الهداية

غزلان

﴿ القاهرة في ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ هـ مايو سنة ١٩١٠ م ﴾

اسرار القرآن

غزلان

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ . وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

كان الرسول عليه السلام يحرص على أن يؤمن به جميع الناس ويتبعوا هديه كما كانت تذهب نفسه حسرات على من لم يوفقوا الى متابعته والأخذ بشريعته .ولذلك نزل كثير من آيات القرآن الكريم في تسلية النبي الامين وارشاده الى أن هناك طائفة حقت عليهم كلمة الله وأحاطت بهم الخطايا

وأنآهم العناد والمكابرة عن مواطن الحق فلا تنفعهم العظات ولا تملك أبصارهم الآيات البينات. ومن هؤلاء قادة الاحزاب من قريش الذين نزلت فيهم هاتان الآيتان الكريمتان وهم الذين نزلت فيهم آية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ). أولئك الذين قتلوا يوم بدر الكبري اذ اجتمع سادة قريش وكبراؤها ليأخذوا المسلمين على غرة منهم فلما تراءت الفئتان لم يلبث المشركون أن انهزم جمعهم وولوا الادبار يتبعهم المسلمون قاتلين آسرين حتى تم لهم النصر المبين. وكان فيمن قتل من زعماء قريش وأساطينها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد ابن عتبة والجراح والد عامر. وقتل أمية بن خلف وولده على وقتل ايضاً حنظلة بن ابي سفيان وابو جهل ونوفل بن خويلد. وأسر منهم نحو سبعين قتل الرسول منهم اثنين كانا بمكة من أشد المستهزئين بالاسلام والمسلمين وهما عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث

قتل أولئك الاساطين بعد أن رأوا من آيات الله والنذر مالو عرضت لحجارة اللات أو عرضت على جبال لأشفقن منها ولكن ماذا تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ؟

لقد قطع الرسول عليه السلام السنين المتعاقبة يأتيهم بالحكمة فلا يورثهم الا استكبارا وينذرهم فما يزيدهم الا طغيانا وما زال بهم يهديهم فيغشّون أبصارهم. ويفهمهم فيضلون أحلامهم حتى استيأس من هدايتهم وأيقن انهم لا ينفكون يؤذونه حتى يطفئوا نور نبوته وسراج شريعته. وهل يرجو استقامة أحوالهم وصلاح عقيدتهم بعد ان أخبره أصدق القائلين بان القوم سواء عليهم أن ينذرهم وألا ينذرهم. فانهم أصروا على

الكفر وعقدوا النية على الا يستمعوا لما يتلوه من آيات الله والحكمة. وماذا تفيدهم قلوب عطلوها عن التفكر في المعقولات. وأسماع صرفوها عن الانصات. وأبصار حجبوها عن المحسوسات. بكشيف الغشاوات.؟ وكذلك يفعل الله بالمعاندين فانهم اذا لاح لهم نور الحق وتجلت لقلوبهم حكمة الحكيم أخذ العناد بتلابيبهم وصدفهم عن الانتفاع بشيء من ذلك. انما مثل الذين كفروا وأصروا على العناد مثل المريض الذي لا تقوي معدته على احتمال الغذاء الجيد فكلما تناول شيئاً من الاغذية الجيدة زادته مرضاً وخطراً. يفسر هذا قوله تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) فليس المعنى أن الله تعالى يضل عباده ويصرفهم عن الصراط السوي ولكن الله يوحي بآياته وجليل حكمته الى عباده فاذا صادفت قلوباً نقية من امراض الاستكبار والعناد تمكنت منها وزادتها نقاء وطهارة واذا صادفت قلوباً لعب بها الطغيان وأنوفا نفخ فيها الشيطان لاتجد مسلكا الى نفوس أربابها بل كلما زادتهم اقبالا زادوها اطراحا وكلما زادتهم نوراً زادوها اغماضاً يرشد الى هذا قوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا) ولطالما شاهدنا فيما نشاهد أقواماً لولا استيثاق العناد والمكابرة من نفوسهم لما ضلت أحلامهم عن الحق ولا أعرضت نفوسهم عن قبول الصدق ولكنهم قد تمكنت الأهواء من نفوسهم حتى أنهم لينكبون عن الجادة وهم أبصر بها وينكرون الحق وهم أعلم بطرق ثبوته. وكلما زيدوا تذكيراً زادوا تغافلا أو زيدوا بياناً اشتدوا تجاهلا (وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) فامثال هؤلاء هم الذين قال فيهم الحق تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة

ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) ونزل فيهم (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم) وورد في وصف قلوبهم (بل طبع الله عليها بكفرهم)

ومن ذلك ماجاء في الحديث أن الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها فحينئذ الختم . والذي يفهم من هذا الحديث أن الختم لا يكون الا لمن كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فلا يريد لنفسه الخروج منها بالندم والتوبة بل كان كقوم نوح الذين قال فيهم (رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعائي الا فراراً واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهاراً ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم أسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً . مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً .الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا.والله انبتكم من الارض نباتا .ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا.والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا.قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خساراً ومكروا مكرا كباراً وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله انصاراً وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديّارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً)

لمثل هؤلاء الكافرين المعاندين أعد الله عذاب جهنم وعلى أولئك المكابرين تتنزل لعنات الله تعالى وتحق كلمته.أولئك الذين يحاربون الله ورسله بغياً وعدوانا وينكرون الحق علوا واستكباراً. ذلك مايفهم من الآيات الكثيرة التي جاءت على هذا النظام فان الله تعالى شأنه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.ولا جرم أن أولئك الكفار الذين أصروا على العناد والسعي بالفساد جديرون بما توعدهم أصدق القائلين بقوله (وأولئك لهم عذاب عظيم) جزاء لهم على ما اكتسبت أيديهم فان لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت

وليس المراد من هذه الآية أن كل كافر لا يرجى ايمانه فان ذلك يستتبع تعطيل الرسالات ويناقض المشاهدات فلطالما جاءت الموعظة على قلوب ضالة فهدتها وتجلت الانوار لابصار مغمضة ففتحتها وأصابت الحكمة أفئدة مسودة فبيضتها .أما الذين استولى الجحود على قلوبهم وتمكنت الغلظة من أكبادهم فانهم كما قال تعالى (لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم . وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة . ان أخذه أليم شديد) .

ومن هنا يتبين أن الكفر قد يكون مشفوعا بالعناد والاصرار مع قيام الآيات ووضوح الحقائق وقد لا يكون كذلك . ويرى ابن الهمام أحد أئمة الحنفية أن الانسان لا يعد كافراً باصر إلا اذا كان عالماً مع ذلك بثبوته قطعاً لان مناط التكفير التكذيب أو الاستخفاف. فالعناد والجحود المتعمد على هذا ملازمان للكفر

ولقد أطال هنا المفسرون وأكثروا مما سموه خلافا بين أهل السنة

والمعتزلة في أن العبد مختار فيما يصيبه من الاعمال أو أنه مضطر اليها مجبر على اصابتها ثم جعلوا يتخبطون في تأويل قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) فلم يهتد كثير منهم الى طريق الصواب

وتحقيق القول أن الله تعالى لايكلف الا بعد تبليغ ثم لا يكلف العبد الا اذا يسر له طريق العمل . فاذا أراد الله تكليف أحد من الناس أرسل اليه رسله بالهدى ودين الحق وأيده بالحكمة والموعظة الحسنة ليبين له الخبيث من الطيب ويدله على مواطن السعادة والرشاد ومصارع البغي والفساد . ويرشده الى ما أعده لذوي الاعمال القويمة من صنوف الرضوان وما أعتد للجاحدين المبطلين من الذلة والخسران

ارجع الى نفسك فاسألها هل كلف الله مجنونا أو أبله بفريضه أو نافلة أم هل أوجب على مشلول الجوارح أن يعمل؟ ان الله تعالى قبل ان يكلف المرء يمده بكل ما من شأنه تيسير السبيل الى مايكلفه به ومن هنا كان العقل والتبليغ وسلامة الاعضاء المنوطة بالتكاليف شرائط لازمة وأركانا ضرورية لايقوم أمر النهى أو الايجاب الا عليها. فاذا لم يسلم العقل أو الجوارح العاملة أو اذا لم يقع تبليغ الاحكام الالهية على وجهها سليمة من التحريف والتشويه هنالك لايجعل الله سبيلا لتكاليفه وفروضه على البشر . اما اذا كان الانسان كما قال تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره وكما قال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر . وكما في آية لايكلف الله نفسا الا ما آتاها فهناك محط التكليف وموضع المثوبة والعقاب جزاء وفاقا . وكيف لايكلف المرء اذ ذاك وقد أعطاه الله كل شئ ثم هداه النجدين فضرب له بين الحلال والحرام وبين له كيف تكتسب الاجور وأراه مصارع أهل البغي

والفجور .ولم لا يؤاخذ المرء اذا أصابت يده سوأ وقد منحه الله العقل ليفرق به بين الضار والنافع ويتبين بميزانه مواطن الفلاح وأسباب السعادتين الدنيوية والأخروية ثم منحه جوارح سخّرها لارادته وذللها لمشيئته فلا يعصى أمره رجل او يد ولا يشاقه فيما يريده لسان او رأس وانما كلها طوع امره ونهيه ورهن ميوله ورغائبه .فاذا عطل المرء مواهب الله تعالى او سخرها في غير ماخلقت له بعد ان هداه الرسل بتبليغهم المبين ودلوه على سبل الخير وحذروه معاهد الشر وبعد ان شرحوا للعالم ماقدر الله لكل عمل من الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر . افبعد هذا جميعه يترك المرء هملا لايثاب على حسن ولا يعاقب على قبيح ؟ اذاً لتساوى المسئ والمحسن والخبيث والطيب وتعادل من يشكر الله على نعمته ومن يحاربه في سره وعلانيته (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها وكنت من الكافرين) يمنح الله عباده العقل والجوارح ثم يبين لهم الرشد من الغي ثم يعرض عليهم تلك الامانة أمانة التكليف التى أشفقت منها السموات والارض والجبال وأبين أن يحملنها فيقدمون عليها غير هيابين ويحتملونها قادرين بعد أن أمدهم بالطول والقوة وزودهم بعقل سليم وجسم في أحسن تقويم . ولكنه تعالى علم في قديم أزاله أن منهم من سيعطل مواهبه العالية أو يضعها في غير موضعها غير مجبر ولا مسلوب الارادة . ومنهم من لايزيغ قلبه عن الصواب ولا يصدف بصره عن الحق بل يكون رائده في سيره وسيرته ذلك العقل الذى

جعله الله له نبراساً يستضئ به وهاديا يبلغ به مأمنه. فلا يرد مورد مأثم ولا يلج سبيل مغرم او مندم. علم الله في قديم أزله جميع ذلك فاعد لكل من الطائفتين دارا يلقى بها جزاءه (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغني وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) واذا كان الله سبحانه وتعالى واسع العلم محيطاً بما كان وما سيكون وما هو كائن فانه لايعلم الاشياء الا كما تجري في الوجود بلا نقص ولا زيادة ولا تغيير ولا تبديل والا انقلب علم الله جهلا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وليس معنى هذا ان الله يضطر عباده الى ارتكاب السيئآت اضطراراً ثم هو يجزيهم عليها جزاء فان الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون

ولا يخفى أن العلم على هذا البيان ليس هو الذى تحقق به الكائنات في الوجود الخارجى وانما الاتصال بينه وبينها اتصال انكشاف واحاطة

تتمة

هنا بحث لفظي نورده تتميما للفائدة وهديا للكتاب

أورد السيرافي في شرح كتاب سيبويه أن كلمة سواء اذا دخلت بعدها الف الاستفهام لزمت (أم) نحو سواء على أقمت أم قعدت فاذا عطف بعدها أحد اسمين على آخر عطف بالواو لاغير نحو سواء على زيد وعمرو. فاذا كان بعدها فعلان بغير استفهام عطف أحدهما على الآخر بأو كقولك سواء على قمت أو قعدت. فان كان بعدها مصدران مثل سواء عليَّ قيامك وقعودك فلك العطف بالواو وبأو. وانما دخلت في الفعلين بغير استفهام لما

في ذلك من معنى المجازاة فتقدير المثال ان قمت أو قعدت فهما على حدّ سواء اه

والمشهور انه لايجوز العطف بعد سواء بأو ان كان هناك همزة التسوية حتى قال ابن هشام في المغنى انه من لحن الفقهاء

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ) الآيات

هذه الآيات وما بعدها الى ثلاث عشرة آية للنعي على المنافقين الذين أوعدهم الله الدرك الاسفل من النار. والنفاق هو اظهار الخير وإسرار الشر وهو أنواع. اعتقادي وهو الذى يخلد صاحبه في النار. وعملي وهو من أكبر الذنوب قال ابن جريج المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه . ولقد وصف الله المؤمنين في صدر السورة باربع آيات ثم عرف حال الكافرين بالآيتين التاليتين لها ثم شرع في بيان حال المنافقين. ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطال في وصفهم بصفات متعددة كل منها كما أنزل فيهم سورة براءة وسورة المنافقين وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لاحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها . نزلت هذه الآيات في المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم لينبه الى صفاتهم لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع

بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم ليسوا كذلك فى نفس الأمر . فان من المحذورات الكبار أن نظن الخير بأهل الفجور وأن تطمئن النفوس الى أهل التقلب والزور وما شقي الناس بشيء شقاءهم بتصديق المنافقين والأخذ بنصائحهم والاغترار بظواهرهم والغفلة عما يكيدون وما يبيّتون . وقد تضمنت الآيات من صفات المنافقين مالوفقهه المخلصون الطاهرون من أدران النفاق لما أصابهم أذى ولا نزل بهم بأس وهى كما ترى

يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر تعمية على الأبصار وتغريرا بالمؤمنين حتى يتمكنوا من مخالطتهم ويوغلوا في تعرّف أسرارهم والاحاطة بجميع شؤونهم كى يدلوا بها الى أعدائهم ويظاهروهم على الايقاع بهم ومباغتتهم فى أوقات غفلاتهم فيشفوا بذلك غلة صدورهم من المؤمنين الذين أظهرهم الله عليهم بالهدى ودين الحق . فهم اذا جاءوا الرسول قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون . اتخذوا إيمانهم جنة لهم يحتجبون خلفها حتى لاتدركهم بصائر المؤمنين فيحذروهم ويأمنوا شرهم . فهم يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم ويخادعون الناس بدعوى الايمان وماهم بمؤمنين

أما مخادعة المنافقين للمؤمنين فانما ذلك بأن يجهروا بالإيمان ويضمروا الكفر ويظهروا لهم أنهم منهم وما هم منهم .فلو يجدون ملجأ لولوا اليه ولم يجموا ولكنهم لا يرون لانفسهم مناصا من الاستكانة للمؤمنين والنزول على حكمهم فيبدون الميل اليهم والاشفاق عليهم والأخذ بدينهم على أنهم يتربصون بهم الدوائر ويتعجلون لهم المصايب

وأما مخادعتهم لله تعالى فان لها مجالى عدة وصورا كثيرة .فمن ذلك أنهم اذا رأوا المؤمنين أشهدوا الله على أنهم يؤمنون به وبما أنزل على رسوله. ولولا أنهم تجاهلوا أن الله تعالى يعلم سرهم وعلانيتهم لما أشهدوه تعالى على مايقولونه بألسنتهم وينكرونه بقلوبهم.ولكنهم عاملوا الله تعالى معاملة غيره من البشر فهم يجهلون أو بعبارة أخرى يتجاهلون احاطة علمه تعالى بالكائنات جليها وخفيها فيحاولون مخادعته كما يخادعون المؤمنين . ومن صورها اعتقادهم أن مخادعة الله نافعة لهم وأن الله تعالى يروج عليه التلبيس كما يروج على الناس فيغرونه كما يغرونهم كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا إنهم هم الكاذبون. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . أولئك حزب الشيطان الا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

يخادع هؤلاء المنافقون الله تعالى والمؤمنين ليخرجوا عن حدودهم ولا يتقيدوا بقيودهم ظمأ الى الباطل ورغبة في السعي بالفساد.ولو تدبروا قليلا لعلموا أنهم بما عملوا موردون أنفسهم موارد الهلكة وملقون بها فى مواطن الخسران ومهامه الضلال ولأيقنوا انهم بما ينافقون انما يخدعون أنفسهم التي بين جنوبهم ولكنهم لايشعرون . وهذه هي الأمارة الثانية التي يعرف بها المنافقون . ذلك أنهم يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون . فالمنافقون وهم يخدعون المؤمنين في عاجل الدنيا انما يخدعون بأفعالهم أنفسهم اذ يظهرون لها أنهم معطوها أمانيها وموردوها مناهل سعادتها غيرشاعرين ولا دارين بانهم موردوها مواطن الدمار و العطب ومذيقوها نار اذات لهب.وماذا يغنيهم أن يحرزوا

بالشهادتين أموالهم ودماءهم وقد أضل الشيطان سبيلهم وأعمى عن الهدى أبصارهم فهم لايهتدون ولا يبصرون ؟؟

يشغف المنافقون بالشك والتشكيك ويفرطون في استنكار الحقائق ولو تجلت لأبصارهم كفلق الصبح وكلما زيدوا هدى زادوا ضلالا وكلما زيدوا تخويفا زادوا طغيانا وكلما جاءتهم الآيات والنذر أعرضوا عنها عنادا واستكبارا وهذا هو معنى قوله تعالى (في قلوبهم مرض) هو الشك والارتياب (فزادهم الله) بما أرسل اليهم من أسباب الهداية ودلائل الرشاد (مرضاً) على مرضهم اذ لم يؤمنوا بها ولم يصدقوها . يفسر هذا قوله تعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وهو نظير قوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) ومن ايآت الذين فى قلوبهم مرض الريبة والشك انهم يكذبون ويكذبون ولذا قال تعالى (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) أو يكذبون وبهما قرئت الآية الكريمة

ومن آيات المنافقين أنهم اذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انا نحن مصلحون . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

قال ابن جرير فاهل النفاق مفسدون فى الارض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها مانهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم فى دينه الذى لا يقبل من أحد عمل الا بالتصديق به والايقان بحقيقته وبكذبهم على المؤمنين بدعواهم غير ماهم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا الى ذلك سبيلا . فذلك افساد المنافقين في الارض وهم يحسبون أنهم

بفعلهم ذلك مصلحون فيها . قال في فتح البيان وهذا الذي قاله حسن فان من الفساد في الارض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين كما قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين فكان الفساد من جهة المنافق حاصلا لانه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لاحقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الأولى لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله تعالى وتطابق قوله وفعله لأفلح ونجح . ولهذا قال تعالى (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) ان نريد الا أن ندارى الفريقين من المؤمنين والكافرين نصلح بين الطائفتين جميعاً. يلقون بأمثال هذه المعاذير ليسكتوا بها الذين يلومونهم على تقلبهم وينعون عليهم تلونهم . ولكن الله تعالى أراد تكذيب معاذيرهم وتحذير المؤمنين منهم اذ قال(ألا انهم هم المفسدون ولكن) من جهلهم أو الخضوع الى شهواتهم وميولهم (لايشعرون) بانهم مفسدون

(واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون)

دلت هذه الآية الكريمة على آية من آيات المنافقين . ذلك أنهم اذا قيل لهم آمنوا وصدقوا كما آمن وصدق غيركم من الناس ذوى العقول الراجحة والبصائر المستنيرة الذين لم يحجبهم العناد والمكابرة عن النظر في حقائق الاشياء والتفكر في أدلتها وبراهينها كعبد الله بن سلام وأشياعه سخروا منهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المنصفون . وقالوا أنؤمن كما

آمن السفهاء ؟ نظر هؤلاء الى أنفسهم وقد أبطرهم الغنى وأكفرتهم رياستهم وسطوتهم في أقوامهم ثم نظروا الى المسلمين وكان أكثرهم فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال فورمت أنوفهم وجهلت نفوسهم فلم يريدوا أن ينزلوا الى حيث الفقراء والموالى ولم يعمدوا الى استنصاح عقولهم وتحكيمها فيما دعوا اليه بل شطّ بهم الجهل وسفه الاحلام وفتنة المال والجاه شططا عكس عليهم الحقائق رأساً على عقب وقضى عليهم أن يستركوا العقول الرشيدة ويسفهوا الاحلام الراجحة فزعموا أن اصحابها سفهاء أي جهلاء ضعاف الرأي قليلو المعرفة بمواضع المصالح والمضار كالأطفال وقصار العقول من النساء . ولو أنهم كانوا يعلمون كنه أنفسهم لأيقنوا أنهم هم السفهاء الذين وضعوا نعمة الله عليهم في غير موضعها وعطلوا العقل الذى منحه الله الانسان ليزن به الأشياء ويقدر به الأمور ويكشف حقائق الكائنات فيميز الضار والنافع ويفرق بين الحق والباطل ليأخذ صاحبه بأحسن الاشياء وأعودها عليه بالمنفعة والحسنى

ويظهر من نظم الآية الكريمة أنهم لم يكونوا يقولون ذلك جهرة أمام المؤمنين والا كانوا غير منافقين بل الذى يفهم من ظاهر الآية انهم اذا خلوا الى أنفسهم وقام فيهم من يريد حثهم على الانتظام في سلك اخوانهم الذين دخلوا فى الاسلام حتى لايعرضوا أنفسهم وأموالهم الى الخطر والضياع اذا اتفق للمؤمنين أن يطلعوا على مقاصدهم ويعرفوا سوء نياتهم وما أضمروه من الفتك والبطش بالمسلمين متى مكنتهم الفرص كانوا اذ ذاك تأخذهم عزة الجاهلية وسورة الكبر فيقولون أنؤمن كما آمن السفهاء يريدون أنهم قد عقدوا النية على الا يحيدوا عن تعاليمهم القديمة ولو جاءهم

الرسول بأهدى مما وجدوا عليه آباءهم . اذ من المعلوم أن المنافقين ما كانوا ليجرأوا على الجهر بأمثال تلك العبارات أمام المؤمنين بدليل قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطنهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)

وكذلك كان يفعل المنافقون وكذلك يفعلون في كل زمان ومكان فهم اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا يعصمون بذلك دماءهم وأموالهم ثم اذا خلوا الى شياطينهم وهم سادتهم وكبراؤهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين طمأنوا نفوسهم وأكدوا لهم الايمان بأنهم معهم وانما هم يسخرون ويستهزئون بالمسلمين

والشياطين كما يكونون من الجن يكونون من الانس. قال ابن جرير شياطين كل شئ مردته ويكون الشيطان من الانس والجن معاً . ومنه قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)

الاصلاح والعمران

المرأة

﴿ علمها علماً صحيحاً أودعها على سذاجتها ﴾

لأن تبقى المرأة جاهلةً خيرٌ من أن تتعلم تعلماً ناقصاً . أو تتربى تربية تافهة

المرأة التي تظل محافظة على سذاجتها الأولى : فلم تتلق شيئاً من مبادىء العلوم والفنون . ولم تمارس القراءة والكتابة قد يتيسر لنا أن نقنعها بأنها جاهلة . ثم نوصيها بلزوم الرجوع فى تربية طفلها الى رأي من هو أعرف منها بشؤون التربية

ومثل تربية طفلها تدبير منزلها وادارة أحوالها ورؤية مصالحها : نحسن لها في جميع ذلك أن تعتمد على مشورة زوجها والخبيرين من ذوى قرابتها . أما تلك التي تعلمت تعلماً ناقصاً ورأى أولياؤها أن لايعطوها من مبادىء العلم سوى قراءة القرآن . وكتابة (أبجد هوز) و(جناب الأكرم) حاسبين أن ذلك القدر أليق بها وأحوط في سلامة دينها وآدابها — هذه المرأة تصبح بهذا التعلم الخداج ذات عجب وعناد ولجاج : فلا تعود تصغى لمشورة من هو أعلم منها . ولا تقف في افساد تربية ابنها وتدبير منزلها عند حد !

تسيء الظن بزوجها فتغل يده عن استثمار مالها والانفاق على أطيانها لتحسينها وتنميتها . تدير شؤون المنزل على غير ماتقتضيه قواعد الاقتصاد

وأصول الصحة ووسائل التطهير والنظافة . تحاول تربية أولادها فتخل بقوانين التربية وتفتات على المربى الخبير اعتداداً بكفاءتها وأن معرفتها لقراءة القرآن جعلتها أهلاً لكل شيء ، وعالمة بكل شيء ، وخبيرة بكل شيء أيضاً

تريد أن تلقن ابنها المراهق شيئاً من مبادىء الأخلاق والآداب فتحكي له قصص العفاريت والاساطير المكذوبة أو تملى عليه أبيات عشق وغرام كانت سمعتها من بعض أترابها في كتاب سخيف ركيك وضعه واضعه لتعليم الأحداث صناعة الترسّل والانشاء

هاهي واقفة فى رأس السلم تقول لابنها وهو ذاهب الى المدرسة : حوّطتك بكلمات الله التامة . سامتك الى واحد . أمسك يا بنيّ بالدرابزين جيداً لئلا تزلق رجلك

خرج الولد من باب الدار فاذا أمه تهتف به من النافذة وتوصيه بالابتعاد عن شاطىء البحر لئلا يغرق . وعن الكلاب لئلا تزعجه أو تعضه . وعن الحُفَر لئلا يقع فيها . ثم تلح عليه أن يشدّ المنديل على عنقه خوف لذع البرد وأن يطبق المظلة على رأسه خشية أذى الحر

رجعت الأم بعد هذه الوصاية المتكررة الى غرفتها . أرادت الأدلال على زوجها والتباهي على جاراتها فرفعت صوتها بتلاوة القرآن تارة ودلائل الخيرات تارة أخرى

أوانى المطبخ لم تزل من دون تنظيف . أرض الدواليب لم تزل من دون مسح . طعام الغداء لم يزل الزوج يجهل أمره . ويتساءل ماذا عساه يكون ؟ وضيوفه كرام يجب أن يتجمل أمامهم ويكافئهم على أياد لهم عليه .

الطفل الصغير غلبه النوم فى احدى زوايا تلك الدار والذباب يتطاير من فوقه . والروائح الخبيثة تنبعث من تحته

رأى الرجل الحالة على ماوصفنا فنادى امرأته ورغب اليها أن تنهض لمراقبة أمور البيت وتهيئة الطعام

تغافلت المرأة عن زوجها .أو أن دوىّ صوتها بقراءة دلائل الخيرات حال بينها وبين سماع النداء !

هتف بها ثانية فردت عليه بخشونة . وجعلت تؤنبه على اساءته الادب مع مؤلف دلائل الخيرات وأنها تخشي عليه أن يبطش به !!

ضاق صدر الرجل فكاد يتفوه بمالا يليق فى حق أهل الله ثم سكت على مضض

ولا نعلم ماذا جرى بين الرجل وامرأته . ولا كيف كان أمر الغداء . ولكن نذهب مع القارئ الى تلك المرأة التي عرف أولياؤها كيف يعلمونها وكيف يجعلونها تستفيد من الذى تلقته

تزوجت فيا سعد زوجها بها . رزقت أولاداً فيا لسعادة أولادها من أجلها

تعلمت القراءة والكتابة ولكن لم تتعلمها لذاتهما وانما تعلمتها لكى تتوصل بهما الى درس حقائق أعلى وتحصيل فوائد أغلى

قرأت القرآن بأمعان وتفهم : فكانت تتناول بعض الآيات وتشرح معناها لأولادها شرحاً مفيداً غاية في السهولة والتقريب . غرست في نفوس أولادها عظمة الله تعالى ووجوب خشيته واستمداد المعونة والتوفيق منه

وكثيراً ما أسمعتهم الآيات التي تحض على ممارسة الخير والفضيلة . وتطلب منهم أن يستظهروا ألفاظها ويتفطنوا لمعانيها

ولم تكتف من العلم بهذا القدر فقط بل رأت (من الواجبات) عليها باعتبارها ربة منزل أن يكون لها إلمام ومشاركة بفن الهيجين (حفظ الصحة) ثم لاحظت أنها لاتقدر على تربية أولادها تربية صحيحة مالم تدرس فن الأخلاق وعلم النفس ومعرفة أسرار قواها المختلفة

قالت : أنما أكون سعيدة اذا كان زوجي وأولادى أصحاء الاجسام ولا تدوم الصحة لهم مالم أكن عارفة بالأصول والقوانين التي قررها العلماء فى حفظ الصحة

ثم ماذا تكون فائدة الصحة اذا لم يقترن بها أخلاق حسنة وتربية فاضلة ؟ فمن ثم كان الواجب علىّ أن أجمع بين درس الفنين فن الصحة وفن التربية

كانت تختلس فرصاً من وقتها ثم تقبل على مطالعة الكتب التى وضعت فى هذين الفنين الجليلين . وكثيراً ما كان يستعصي عليها فهم بعض المسائل فتستأذن زوجها أن تكتب لبعض الأخصائيين في هذين الفنين . فكان يأذن لها منشرح الصدر هادئ البال

قالت اذا كان الحجاب يحول بينى وبين التردد على أفاضل العلماء فى منازلهم فها أنا ذا بحمد الله أستطيع الكتابة اليهم بعبارة فصيحة . فلا أدع الحجاب يحجبنى عن القيام بالفريضة الدينية وهي (طلب العلم)

وقد كتبت مرة الى بعض نطس الاطباء تسأله رأيه في مهد طفلها هل تتخذه مما يهزّ باليد هزاً أو يكون ثابتاً لايتحرك فكتب اليها يقول :

« الأفضل أن يكون المهد ثابتا لأن الولد إذا اعتاد الترجح في الارجوحة اضطرب نومه . وغلب عليه القلق والارق.أو تبقى يد الأم قابضة على دفة السرير طول الليل . وهذا مما يذهب براحتها ويحرمها طيب المنام . واذا أرادت الأم أن تستزيد من الراحة لها ولطفلها فلا تستعمل عادة التقميط فتشد على أعضاء الطفل وتجعله كطرد « البوسطة » أو كالمومياء المصرية. وشد الطفل على هذه الصورة يضايقه ويضطره الى البكاء ومتابعة الشكوى من هذا الظلم الفادح . ولكن الأم الجاهلة لاتنتبه لسبب بكائه فتحسبه انما يبكي نفوراً منه أو نكاية بها فتأخذ في هز المهد والتسخط عليه وعلى القدر طول الليل » آه

ومما رأت هذه الأم الفاضلة أنها في حاجة الى تعلمه — مبادىء الكيميا ودرس طباع المعادن وخواص الاجسام فتعرف الضار منها من غير الضار والسّام من غير السّام

وبعد خمس عشرة سنة من زواجها صار لها بضعة أولاد .فكانت بعد رجوعهم من المدرسة تكثر من مفاكهتهم ومداعبتهم ثم في غضون ذلك تودع نفوسهم مسائل العلم واحدة فواحدة

ولا أنسي اذ كانوا مرة فى صحن الدار وكانت الحاجة (طباختهم) قد ذهبت الى بيت الجيران فى بعض شأنها

فنادت الام أولادها قائلة : ذهبت « الحاجة » وسوف تمكث عند الجيران أكثر من ساعة اذ أننا نعرفها تكثر الحديث وتحسن الاقاصيص . فلنغتنم فرصة غيابها أيها الاولاد ولننزل الى المطبخ ونشاهد مافيه من الأواني والأدوات المختلفة. أظنكم أيها الصغار لاتعرفون أنواع

المعادن . وأن في المطبخ من المعادن مجموعة نفيسة : هاموا معي اليها —

فتراكض الاولاد وراء أمهم مسرعين

آه ما أحسن تصفيف هذه الأوانى وما أشد مااعتنت الحاجة بتنظيفها .شكراً لك أيتها العجوز

انظروا هذه المقالى والقدور الصغيرة فهى من النحاس . والنحاس معدن نافع جداً يستخرج من جوف الارض والذى يصنع منه الأوانى يسمي نحّاسا . وهذا النحّاس يتوصل الى صنع القدور النحاسية بوضعها على السندان وضربها بالمطرقة الضخمة

ثم التفتت الى ابنها الصغير (وهبي) وقالت هل تعرف ياوهبي ماهو السندان وما هى المطرقة ؟ قال نعم ياأماه كنت أريتنيهما فى حانوت الحداد القريب من دارنا

انظروا هذه القدر التى وضعتها (الحاجة) في ناحية بعيدة عن سائر القدور

أتعرف السبب في ترك استعمالها ؟

كلا ياأماه !

ألستم ترونها كامدة اللون

بلى ياأماه !

احترزوا أيها الاولاد من أن تضعوا شيئا من هذه المادة الخضراء فى أفواهكم : هذه البقع يسمونها (الزنجار) وهو أحد السموم القتالة . لننظر الآن في القدور الأخرى النظيفة التى نطبخ فيها

داخلها لامع نظيف . وهو مغطي بطبقة رقيقة من معدن أبيض .

وهذا المعدن يسمي (قصديرا) . وليس القصدير كالنحاس في تولد سم الزنجار عليه ولذلك يطلون به النحاس

اذا طلينا النحاس بطبقة رقيقة من القصدير قيل انه (مبيَّض) أما اذا مزجنا النحاس والقصدير معاً بعد صهرهما كان لنا منهما معدن يسمي (برنزا) . والتفتت الى ابنها (حسنى) وسألته هل تعرف معنى الصهر ؟ قال لا . قالت الصهر تذويب المعادن وجعلها بحالة السيلان . ثم قالت لهم هوذا شمعدان من معدن البرنز . والجرس الصغير المعلق على باب الدار يعلن مجيء القادمين من وقت الى آخر هو من البرنز وأجراس الكنائس التى تسمعون أصواتها متخذة من البرنز أيضاً . وكانوا قديما يصنعون المدافع من البرنز وبقوا على ذلك زمنا

وكان البشر فى أول أمرهم يستخدمون شظايا الاحجار (أي قطعها) فى ضروب مرافقهم . فكانوا يتخذون منها سكاكين وفؤوساً ويسمى ذلك العصر بالعصر الحجرى . ثم اهتدوا الى النحاس ومزجوه بالقصدير فحصلوا على معدن البرنز ومن هذا البرنز كانوا يصطنعون أسلحتهم وأدواتهم وما زالوا على استعماله حتي عرفوا الحديد في العصور الثالثة ويسمى هذا الطور الثالث للبشر (العصر الحديدى)

والحديد أنفع المعادن قال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) . فاعترض (حسنى) والدته وكان أكبر اخوته قائلا : ياأماه وهل نزل الحديد من السماء ؟ قالت كلا وأنما خرج من الارض قال فكيف يقول الله تعالى (وأنزلنا) قالت ان معنى (أنزلنا) هنا وهبنا ومنحنا

ثم قالت لهم : ليس الحديد جميل المنظر ولا هو بذى لمعان وبريق كغيره من المعادن ولكن مع هذا لاينبغي لكم أن تحكموا على الشيء بمجرد النظر الى هيئته الظاهرة . فان للحديد مزايا لاتوجد في سواه . أعظم تلك المزايا صلابته ومقاومته للضغط الشديد الذي يقع عليه . وهذا الموقد من الحديد . ويستخرج الحديد من الارض ممزوجا بشوائب أخر فيصهرونه بواسطة موقد كبير حتي يمحصوه من تلك الشوائب . ويسمى الحديد بعد هذا التمحيص (حديد الصلب) وهذه القدر الصغيرة من ذلك الحديد . واذا طلينا الحديد بالقصدير خرج لنا معدن هو (الصفيح) وهذه الآنية الصغيرة التي نسوي فيها القهوة من الصفيح . واذا أضيف الى الحديد مقدار قليل من الكربون ازداد صلابة وسمى حينئذ (فولاذا) وهذه السكين التي ترونها على « الترابيزة » متخذة من الفولاذ

لنفتح الآن درج « الترابيزة » . هذه ملاعق من القصدير الممزوج بمعدن آخر لين ثقيل هو (الرصاص)

ثم قالت لهم مشيرة الى الجدار : انظروا الى المرآة . المرآة نديم المرأة ومن عجيب أخلاق النساء أنهن يحرصن على اصطحاب هذه الأداة حتي في المطبخ !

هذه الطبقة اللامعة التي تغطي سطح زجاج المرآة من وراء والتي بسببها تنعكس صوركم الى عيونكم — هي مزيج من القصدير والزئبق

والزئبق معدن أبيض لونه كلون الفضة . واذا كانت حرارة الهواء اعتيادية كان الزئبق في حالة ميوعة . حتي اذا أردت القبض عليه بيديك

فر وتفلت من بين أصابعك . ومن أجل ذلك كنى عنه غواة الكيميا القديمة بالعبد الفرار . وأنشدوا في بعض منظوماتهم

(خذ الفرار والطلقا وشيئاً يشبه البرقا)
(فان أحكمته سحقا ملكت الغرب والشرقا)

ومعدن الزئبق يذكرنا بالفضة . انظروا أدوات الفضة . هاهي منضودة بعضها فوق بعض في الخزانة . انظروا الملاعق والشوك ماأشد لمعانها وما أكثر بريقها ، والفضة من المعادن الثمينة . وهو قلما يتغير لونه مهما تعرض للهواء . وهناك معدن آخر أثبت منه وأقل تغيرا . هو معدن الذهب . انظروا الى خاتمي هذا : فهو من الذهب . ولست في حاجة الى جلائه أو تنظيفه . فاذا أضفتم الى هذه المزية مزية لمعانه الجميل ومزية ندرة وجوده عرفتم اذ ذاك مبلغ نفاسته وفضله على سائر المعادن . والنقود ذات القيمة العالية تتخذ من الذهب لكنهم يضيفون اليها قليلا من معدن النحاس ليكسبها فضل صلابة. هاموا بنا أيها الاولاد نضع كل شئ في محله ونرتب الأدوات الفضية كما كانت أولا ولنعد النظام الى هذه المملكة الصغيرة فان المطبخ هو مملكة (الحاجة) التي لها فيها مطلق التصرف

كيف أيها الاولاد أما جعتم ؟ ان هذه الروائح الطيبة المنتشرة فوق القدور تبشرنا بغذاء شهى لذيذ .ها هو اللحم كادينضج. واني أقول لو كانت طباختنا (الحاجة) هى وقدورها هذه في بلاد (الاسكيمو) لكان لها شأن يذكر

قالوا ولماذا ياأماه !

قالت الاسكيمو سكان الشمال حيث الجليد الدائم وليس لديهم معدن يتخذون منه قدوراً . ولا تراب يصنعون منه أواني خزفية . فان التراب اذا استحكم جفافه أصبح صلداً صبوراً على احتمال النار . ومن لم يقدر على اقتناء قدر من نحاس اقتناها خزفا . واذا فقد النحاس والخزف فكيف يمكنه طبخ طعامه ؟ والأسكيمو كيف يصنعون ؟

يتخذ الأسكيمو مكان القدور جراباً من جلد وفي هذا الجراب يطبخون ما يقتاتون به من اللحم . فصرخ أحد الاولاد : كيف ذلك ياأماه : إنهم اذا أدنوا الجراب من النار احترق . واذا أبعدوه عنها لا يغلى الماء ولا ينضج اللحم ؟

قالت أمهم نعم. ولكن الاسكيمو اهتدوا الى طريقة وافية بالغرض. ذلك أنهم يبحثون في شواطئ البحار عن مقادير من الحصى الصغيرة ثم يطرحونها في النار فتحمى حتى تصل الى درجة الحمرة فيتناولونها اذ ذاك ويضعونها في جراب الجلد حيث يكون اللحم والماء . فلا تلبث الحصى أن تنطفئ وتحدث حرارة قليلة في الماء . ثم يكررون العمل ويزاولونه المرة بعد المرة وبهذه الصورة تشتد حرارة الماء ثم ينضج اللحم

ولم تصل أم الاولاد في حديثها الى هذا المكان حتى سمعت صوت الجرس (البرنز) يرن على باب الدار يعلن رجوع (الحاجة) فصرخت بأولادها هاموا بنا قبل أن ترانا فتزعم أننا أفسدنا مملكتها وشوشنا عليها نظامها . فتراكضوا جميعهم من باب المطبخ مسرورين ضاحكين ولا يهم المقبل عليهم مصالحين ومعانقين

اسكلة طرابلس الشام « المغربي »

اللغة والأدب

اللحن الشائع

—٣—

(تحرير طائفة من الألفاظ)

ومن اللحن الشائع أيضاً قول بعضهم قطّعت الشيء « إرَبا إرَبا » وقد بلغ من شيوع اللحن في هذا الحرف أن وقع فيه بعض شعراء المولّدين . ومن تتبع شعرهم عثر عليه فيها . قال الخشاب:

قطّع قلبي بحبه إرَبا وصدّ عني فلم أنل أرَبا

وربما كان حب التجنيس بين اللفظتين هو الذي استدرجه الى الوقوع في هذا اللحن . والوجه فيه (الإرْب) تقول قطعت الشاة (إرْبا إرْبا) أي عضواً عضواً . ولا يستعمل هذا الحرف الا مكررا على نحو ما رأيت

ومنه قوله « بُحّ صوتي » يريد غلظ وخشن . يبنى الفعل لما لم يسمّ فاعله خطأ والوجه فيه (بَحّ) وهو من باب فرح وعلم أيضاً . قال صاحب اللسان : وورد فيه (يُبحّ) « كذا أطلقه أهل التجنيس » فللفعل باب آخر هو نصر

ومنه قوله « بيطار » لمعالج الدواب . والصحيح (البَيْطار) وقد ورد على فَعيل (بَطير) وفِيعَل (بِيطَر) وبهما روى هذا الحرف في قول

الطرماح :

يساقطها تترى بكل خميلة كبزغ البيطر الثقف رهص الكوادن

وورد على مُفَيعِل (مُبَيْطِر) قال النابغة:

شك الفريصة بالمدرى فأنفذها طعن المُبَيْطِر اذ يشفى من العَضَد

ومنه قوله لا « تَبَعَة » علىّ في هذا . والوجه (التَّبِعة) وهي ما فيه إثم يتبع . ويقال (التِّباعة) أيضاً قال وداك بن ثميل :

هِيمٌ الى الموت اذا خيّروا بين تباعات وتقتال

و (التَّبِعة) أيضا ما يتبع المالَ من نوائب الحقوق

ومنه قوله فعلت هذا من « جِراء » فلان يريد من أجله . وانما « الجِرَاء » اسم من المجاراة . والوجه في ذلك الحرف (جَرّاء) . و (جَراء) و (جرى) لغتان في هذا الحرف . والجَرَاء أيضاً الصبا ومنه قولهم كان في أيام ذلك (جَرائها) أي صباها

ومن اللحن الشائع قول بعضهم فلان « يحزَر » هذا الطعام كيت وكيت يريد أن يقدره كما يقول . والصحيح أن هذا الفعل له بابان هما نصر وضرب . و(الحَزر) هو الحدس والتقدير والخرص . واللابن (الحازر) أي الحامض أو فوقه بقليل . ويقال أيضاً (حازر حامز) بمعنى واحد ولعله من الاتباع

ومنه قوله « حَلَقة » الفضة مثلا . والصواب (حَلْقة) والجمع حلاق على الغالب وحلَق على النادر كهضبة وهضب . وقد أطال صاحب اللسان فيما شجر بين أئمة اللغة من الخلاف على هذا الحرف بما لامحل لاستقصائه في هذا المقام

ومنه قوله « الخَصب » يريد كثرة العشب ورفاغة العيش . والصحيح (الخِصب) تقول خَصِبَت الارض وخَصِبت أيضاً فهي خَصِبَةٌ . وروى سيبويه :

لقد خشيت أن أرى جَدَبًا * في عامنا ذا بعدما أخصبّا

شدد لام الاسم (جدب) وأجرى الفعل (أخصب) على أفعل للالوان كأزرق وأصفر ونحوهما

ومنه قوله هذا البيت « خلو » من أهله يعنى أنه خال منهم . والوجه (خلو) أي خلىّ وأنشد سيبويه :

وقائلة خولانُ فانكح فتاتهم * وأكرومة الحيين خلو كما هيا

واختلف الجماعة فى جواز اتباعه للموصوف به في التثنية والجمع والتذكير والتأنيث فقال اللحيانى بعدم الجواز ووجوب اجرائه على الإفراد والتذكير وقال غيره غير ذلك . والخلو الفارغ البال من الهم أو المنفرد عن غيره

ومنه قوله « رُوق » الثور مثلا أي قرنه والوجه فيه (رَوْق) وأثر عن الامام علىّ كرم الله وجهه هذان البيتان :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك مابروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات رُوقين لايعفو لها أثر

ولعل المراد بذات الروقين الحرب الشديدة أو الداهية كما فسر به فى القاموس وروى « بذات وَدْقين » الى آخر البيت . ورَوق الانسان همه ونفسه . واذا حرص على شئ قيل ألقى عليه أرواقه . وأكل رَوقه وعلى رَوقه طالِ عمره حتي تحاتّ أسنانه . وألقى فلان على صاحبه أرواقه وشراشره اذا استهلك في حبه . وألقى العادي أرواقه عليه اذا اشتدّ عدوه .

قال تأبط شراً :

نجوت منها نجائى من بجيلة اذ * ألقيت ليلة جنب الجو أرواقي

وقد يقال ألقى أرواقه بالمكان على معنى ألقى به العصا أي أقام

ومنه قوله كم « رِيع » هذه الأرض يسأل ما تغلُّ . وانما « الرِّيع » مسيل الوادي . قال الراعي يصف إبله :

لها سلف يعوذ بكل رِيع * حمي الحوذات واشتهر الإفالا

أو جمع ريعة على قول أي جبل . قال ذو الرمة :

طراق الخوافى واقعاً فوق ريعة * لدى ليلة في ريشه يترقرق

أو السبيل سلك أو لم يسلك أو الطريق المنفرج وله معان أخر والوجه في هذا الحرف على المعنى المراد (الرَّيع) وهو النماء أو الزيادة فى الطعام . وقالوا طعام كثير الرَّيع وأرض مَرِيعة أي ذات خصب

ومنه قوله نلعب « الشَّطَرَنْج » والوجه فيه (الشِّطْرَنج) قال الشهاب الخفاجى في شفاء الغليل قال الواحدي الكسر فى (الشين) أحسن ليكون كجردحل وقرطعب (فى الوزن) وقيل هو عربي من المشاطرة لان لكلّ شطرا الخ . والصحيح أنه معرب (صدرنك) أي مائة حيلة والمقصود التكثير وقيل انه معرب (شد رنج) أي من اشتغل به ذهب عناؤه

ومنه قوله شربت « العَقار » يريد الخمر . ثم يقول أملك من (العُقار) كيت وكيت يريد منازله وضياعه : وانما (العَقار) مايملكه المرء من ضياع ودور ونحوها . وقال بعضهم بتخصيص النخل بهذه التسمية . وقيل عقار متاعه ونضده الذي لايبتذل الا فى الاعياد . و (العُقار) الخمر سميت به لأنها عاقرت العقل

ومنه قوله جلست فى « فَناء الدار » يريدالسعة التى أمامها. وتحريره (الفِناء) ويجمع على أفنية وهوالساحة على باب الدار أو ما امتد من جوانبها. وورد بها أعناء من الناس وأفناء . أي أخلاط . الواحد عِنو وفِنو . وفلان من أفناء القبائل أى لايدرى الى أى قبيلة يعتزى

ومنه قول الآخر وعظنا « القس » والصحيح (القسّ) ويجمع على قسوس مثل فلس وفلوس . وهو رئيس من رؤوس النصاري فى الدين والعلم . وقيل بل هو الكيّس العالم وورد :

لوعرضت لأيبُلى قَس *أشعث في هيكله مُنْدَس *حن اليها كحنين الطَّس

و(القَس) هو القسّيس ويجمع الأخير علي قساقسة على غير قياس قال الشاعر:

لوكان منفلت كانت قساقسة * يحييهم الله في أيديهم الزُّبر

ومنه قوله كنت على « قَيد» أذرع من هذا المكان أي على بعد أذرع منه . والوجه (قِيد) أوقاد . وأما القيد فمعروف وجمعه أقياد وقيود

ومنه قوله فلان في « مِسك» الأسد أي في جلده يريد أن له شجاعته. والصواب (مَسك) وفي حديث علي رضي الله عنه ما كان على فراشى الامَسك كبش . أي جلده وأنشد المفضّل:

فيوما ترانا في مسوك جيادنا * ويوما ترانا في مسوك الثعالب

قال فى اللسان قال فى مسوك جيادنا معناه أنا أسرنا فكتفنا في قدود من مسوك خيولنا المذبوحة. وقيل فى مسوك أي على مسوك جيادنا أي ترانا يوما فرسانا نغير على أعدائنا ثم يوما ترانا خائفين

ومن اللحن في هذا الحرف قولهم هو ذو« مِسكة » أو « مِسك »

يريدالعقل . وتحريره (المُسكة)أو (المُسك) أي الرأي والعقل

ومنه قوله لا « مَيزة » لفلان علي فلان يريد أنه لا امتياز له عليه . وتحريره(ميزة) قال في اللسان ما الشئ ميزا وميزَة فصل بعضه من بعض

ومنه قوله لقد «وترنى » حقي أي نقص منه . يجعل الفعل مثل حسِب يحسِب وهو من باب ضرب تقول (وَتَر) فلان فلانا عمله اذا نقصه اياه . وقال تعالى ولن يتركم أعمالكم

ومنه قوله هذا الثوب من « الكتّان » يريد النسيج المعروف والصواب (الكتان) سمي بذلك لانه يخيّس ويلقى بعضه على بعض حتى يكتن . وقد يسمى الكتن فتحذف ألفه للضرورة كما قال الاعشى:

هو الواهب المسمعات الشرو * ب بين الحرير وبين الكتن

ومنه قوله الخفة و« الثِّقَل » لايجتمعان وقوله هذا الشئ « ثِقَل » ذاك يريد وزنه . والصواب في الاول (الثِّقَل) نقيض الخفة وهومصدر تقول ثَقُل الشئ ثقلا وثقالة والصواب فى الثانى (الثِّقْل) أي الوزن فى مثل ماتقدم . وأما (الثقل) فمن معانيها الحشم والمتاع كما في التهذيب

أسئلة وأجوبتها

السحر وتأثيره

حضرة منشئ مجلة الهداية الغراء

سلام ورحمة وبعد فأرجو الجواب على سؤالى الآتى في الهداية وهو : ماهو السحر وما تأثيره وهل هو وهم أم حقيقة . ولكم الشكر ؟

سائل

(الهداية) ان السحر حقيقة ثابتة عند الفلاسفة الاقدمين . وقد أطال ابن خلدون في شرح ذلك في مقدمته وكذلك جاء في كتب الفلسفة العربية القديمة كلام كثير في شرحه وبيان خواصه وآثاره

وأما في اللغة فالسحر عبارة عما لطف وخفي سببه وأما في الشرع فخير لنا أن نقتبس لك هنا ماجاء في تفسير الفخر الرازي صفحة (٤٤٤) جزء أول عند الكلام على قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان الآية) قال اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجري التمويه والخداع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال تعالى (سحروا أعين الناس) يعنى موهوا عليهم حتي ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعي وقال (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعي) وقال صلى الله عليه وسلم (أن من البيان لسحرا) فسمي بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشيء المشكل

وانما يكون ذلك بحسن بيانه وبليغ عبارته . أما قوله تعالى (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) ففيه مسائل . قيل ان هذا التفريق انما يكون بان يعتقد أن السحر هو المؤثر فيه دون مشيئة الله فيصير كافراً واذا صار كافراً بانت منه امرأته فيحصل بينهما تفريق

وقيل انه يفرق بينهما بالتمويه والحيل الخ . ثم قال (إلاَّ بإذن الله) والاذن حقيقة فى الامر والله لا يأمر بالسحر لانه أراد عيبهم وذمهم ولو كان أمرهم به لما ذمهم

وعبارة الكشاف في قوله تعالى (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله) لانه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث . وجاء فى صفحة ٤٤٨ في تفسير قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين) الآية مانصه : النوع الرابع من السحر التخيلات والأخذ بالعيون وهذا النوع مبنى على مقدمات احداها أن أغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشاطئ رأى السفينة واقفة والشاطئ متحركا وذلك يدل على أن الساكن يرى متحركا والمتحرك يرى ساكنا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والذبالة التي تدار بسرعة تري دائرة والعنبة ترى في الماء كبيرة كالاجاصة والشخص الصغير يرى في الضباب عظيما

وأما رؤية العظيم من بعيد صغيراً فظاهر . فهذه الاشياء قدهدت

العقول الى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء علي خلاف ماهو عليه في الجملة لبعض الاسباب العارضة وفي صفحة٤٤٩منه مامعناه :

وقد يكون السحر أثراً لاعمال هندسية أو من ضروب الخيلاء . وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب

وقد تكون أعمال السحر ناشئة عن مهارة في جذب القلوب الى موضوع ثم الانتقال فجأة الي موضوع آخر بدون أن يشعر الناظر حتى اذا ما التفت أخذه العجب واستولت عليه الدهشة . والأمثلة علي ذلك كثيرة وفي صفحة (٤٥٠) منه مانصه : من السحر تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور فاذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة واذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة وحينئذ تمكن الساحر من أن يفعل مايشاء . ومن جرب الامور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثراً عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار . وقال فى صفحة (٤٤٩) ما نصه و :منها سرعة الاتيان بهذا العمل الثانى وحينئذ يظهر لهم شئ آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد مايريد أن يعمله ولم تتحرك النفوس والاوهام الى غير مايريد اخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله . فهذا هو المراد من قولهم ان المشعبذ يأخذ بالعيون لانه في الحقيقة يأخذ العيون الى غير الجهة التى يحتال فيها . وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها الى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله . وكلما كانت الاحوال التى تفيد

حس البصر نوعا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن مثل أن يجلس المشعبذ فى موضع مضئ جداً فان الضوء الشديد يفيد البصر كلالا واختلالا . وكذا الظامة الشديدة والالوان المشرقة القوية والالوان المظامة فانه قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها فهذه مجامع القول في هذا النوع من السحر . وخلاصته أن السحر الذي يفهم منه الناس انه فن يمكن الانسان أن تحول به الاشياء الى حقائق غير حقائقها فهذا مالا يراه الشرع ولا ما يقول به أهله

الكافور

سيدى صاحب الهداية

أفتنى في الكافور الذي ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » وكثيرا ماترد في أقوال العرب للدلالة على الطيب كما جاء في الجزء الثالث من العقد الفريد قوله عند ذكر أخبار عبد الله بن مروان صفحة ١٩٦ . . . « وبين يديه عس ممزوج بمسك وكافور . . . »

ان الذي أعلمه عن الكافور أنه أما أن يكون ذلك المتبلور الشديد الرائحة الذى كثيراً ما يستعمله الأطباء في المراهم أو ذلك القشر الذى يباع عند العطار فى بلادنا وكلاهما تكرهه المعاطس وتمجه الاذواق . أفهذا الكافور المشار اليه في الآية والجملة غير ما نعرف فى مصر ؟ أما انه لهو بعينه ولكنه فى معطسي كريه الرائحة . وإذا كان الأمر كذلك وكنت من الأبرار أفيكون جزائى شربي من هذا الكافور على فرض أن الآية

تقريرية لا كنائية تمثيلية . تفضلوا بالجواب ولكم عند الله الثواب

ابراهيم . ر بالقاهرة

(الهداية) ذهب المفسرون مذاهب في تأويل قوله تعالى (كان مزاجها كافوراً) والذى أراه ان المراد وصف خمر الجنة بمباينته فى أوصافه لخمر الدنيا فاذا كانت خمرة الدنيا تؤلم المعاطس وتلهب الصدور وتغول العقول وتهيج القئ وتقزز النفوس فى تناولها فان ما أعد الله لنا من خمر الجنة ليس فيه شئ من تلك الصفات الذميمة ولكن له من الكافور طيب رائحته وبرده على الصدور وإنعاشه للنفوس . فالمعنى ان مزاج خمر الجنة كالكافور فى تلك الصفات التى سردناها وانما حذفت آداة التشبيه للمبالغة في تمكن تلك الصفات من خمر الدنيا ونظيره قوله تعالى (حتى اذا جعله ناراً) أي كالنار

﴿ استعمال عربي ﴾

حضرة الاستاذ منشئ الهداية الغراء

أجد فى المنقول مثل قولهم ماهو بكاتب ولا كريم ومثل ماهذا البيت برحب ولا كريم ومثل ليس فلان بفاهم ولا كريم الى ما ماثل . فما الجمع هنا بين الكرم والجمال أو بينه وبين الكتابة أو الفهم ؟ أفيدونا ولكم الفضل م . ف بالقاهرة

﴿ الهداية ﴾ من تتبع كلام العرب وتعرف وجوه أساليبهم علم أنه قد يرد لفظ « الكريم » تابعاً لكل شئ نفت عنه العرب وصفا يراد به المدح وبذلك قال الفراء . فالأمثلة التى أوردتموها من هذا الباب . وفي محكم التنزيل قوله تعالى « وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال فى سموم وحميم

وظل من يحموم لابارد ولا كريم » الى آخر الآية الشريفة

﴿ أكثر الاضافات تعددا ﴾

صاحب (الهداية) الهادية نفعنا الله بعلمه

تفضلوا علينا بذكر أطول عبارة متعددة الاضافات وقفتم عليها نفعنا الله بكم م ع . محمود بالقاهرة

﴿ الهداية ﴾ ان أردتموها في كلام المعاصرين فأكثر الاضافات تعددا قولهم « مشروع امتداد أجل امتياز شركة قناة السويس » !

﴿ تحرير لفظتين فى بيتين ﴾

حضرة الاستاذ صاحب (الهداية) الغراء

رأيت في مطالعاتى هذين البيتين :

فقالت وصدت ماتزال متيما « صبوبا » بنجد ذا هوى متقسم

وقوله أيضا ولعل قائلهما واحد

ولما التقينا بالثنية أومضت مخافة عين الكاشح « المتنمم »

فما معنى قوله « صبوبا » في البيت الأول وقوله « المتنمم » في البيت الثانى ولمن هذان البيتان ؛ تفضلوا علينا بالجواب ولكم الفضل

سائل بالاسكندرية

﴿ الهداية ﴾ البيتان لعمر بن أبي ربيعة . ولعله أراد بقوله « صبوبا » في البيت الأول أن يصف نفسه بالصبابة وهي رقة الشوق والهوى فعدل عن (صب) الى (صبوب) وهذا الحرف لم يسمع في كلامهم . وأراد بقوله « المتنمم » فى البيت الثانى (النمام) فعدل الى هذا الوزن ولم يسمع هذا الحرف أيضاً

﴿ من اغلاط العرب ﴾

حضرة الفاضل صاحب مجلة (الهداية) النافعة

سمعت بعض الأفاضل يخطئ بعض شعراء العرب فى اشياء وردت فى شعرهم ولا يخفى أن للعربى مزية الوضع فهل للمولد وهو المقلد أن يشذ عن متابعته فيما يذهب اليه وهل قال احد من الأئمة بذلك ؟

أزهري

(الهداية) عقد السيوطي في كتابه المشهور (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) بابا أورد فيه ماقاله ابن جنى وابن دريد وغيرهما فى معرفة أغلاط العرب . وقد استهل الكلام على ذلك بما يلى

عقد ابن جنى بابا في كتاب (الخصائص) قال فيه كان أبو على يرى وجه ذلك (أن للعرب أغلاطا) ويقول انما دخل هذا النحو فى كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها وانما تهجم بهم طباعهم على ماينطقون به فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد فمن ذلك ما أنشد ثعلب :

غدا مالك يرمي نسائى كأنما ... نسائى لسهمى مالك غرضان

فيا رب فاترك لى جهيمة أعصرا ... فمالك موت بالقضاء دهانى

هذا رجل مات نساؤه شيئاً فشيئا فتظلم من ملك الموت وحقيقة لفظه غلط وفاسد . وذلك أن هذا الأعرابى لما سمعهم يقولون ملك الموت وكثر ذلك الكلام سبق اليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عنده كأنها فعل لأن ملكا في اللفظ في صورة فلك وحلك فبنى منها فاعلا فقال مالك موت الى آخر ما قال مما ربما أفردنا له فصلا بعد

العالم الاسلامي

﴿ المسلمون فى بلغاريا ﴾

يرمينا أعداء الحنيفية السمحة بالتعصب والتشبع بروح الاستبداد واضطهاد المسيحيين مع أن كل الحوادث التى تجرى في بلاد الاسلام تؤيد روح التسامح فتجد المسيحي والاسرائيلى يعيشان الى جانب المسلم كصديقين بل كأخوين متمتعين بكافة حقوقهما ولا يصيب أحدهما من الضرر الا مايكون قد جلبه على نفسه من مخالفته حقوق الاجتماع وقوانين العدل والانصاف بينما ترى المسلم يسام الخسف والهوان فى البلدان التي تكون حكومتها مسيحية. واليك ماجاء فى هذا الصدد بمجلة العالم الاسلامي الفرنسية الصادرة فى شهر مارس الماضي مما يؤيد تحكم المسيحيين في المسلمين تحكما لاتجيزه الشرائع ولا ينطبق على مظاهر الحضارة والمدنية . قالت هذه المجله : لقد حدث حادث كان له شيء من الدوى في العالم الاسلامي وعلى الاخص في الدوائر التركية وهذا الحادث هو القبض بطريقة عرفية على أحمد روحى رئيس تحرير جريدة البلقان الذي قبض عليه وهو في بيته وأخذ منه بطريقة وحشية وقادوه الى سجن فيليبوبولى حيث قضى يومين بين سفلة السجناء الذين أودعوا السجن لتعديهم على حقوق المجتمع الانسانى ولم يسمع له اعتراض على هذا الفعل ولا قبلت منه الكفالة التى أراد تقديمها في نظير اطلاق سراحه حتي يحاكم محاكمة قانونية اذا كان ثمت باعث على ذلك فأخذ مواطنوه

يقولون على أثر علمهم بما أصابه هذا مايلاقيه كل من يحاول المدافعة في البلاد البلغارية عن حقوق المسلمين وعن القانون والنظام . ولنزد على ذلك أن هذا العمل الاستبدادي لم يقابل بالاستياء والملام في الدوائر الاسلامية وحدها بل قوبل كذلك في الدوائر غير الاسلامية لانه عمل ينافي العدل والانسانية

وحينما اطلق سراح احمد روحي قام المسلمون وفى مقدمتهم الطلبة بمظاهرة كبيرة أجروها في الجامعة احتجاجا على هذا العمل الاستبدادى الذى اقترفته حكومة تزعم أنها متمدينة وهي شديدة الاحتكاك بالحضارة الغربية

﴿ معرض اسلامي ﴾

سيفتتح في هذا العام معرض عام للفنون والصنائع الاسلامية بمدينة مونيخ تحت رياسة أمير بافاريا وقد وكلوا أمر تنسيقه الى ثلاثة من الاختصاصيين فى معرفة الآثار والفنون الاسلامية وسيضم اليهم الاستاذ فون تشوري بصفته رئيسا عاملا . وقد نشرت دعوة في هذا الخصوص الى كافة المولعين بدراسة الشؤون الاسلامية ولا سيما الذين هم منهم في تركيا ليعرضوا ما لديهم من التحف الفنية الاسلامية وسيحتوى هذا المعرض في الجملة على فنون وصنائع الشرق لعهد الساسانيين ولعهد الحضارة القبطية وعلى كل الآثار الفنية المجلوبة من اسبانيا وصقلية وتركيا وفارس ومصر في العصور الوسطي والهند المنغولية الى غيرها من بلاد المشرق . وليس الغرض من هذا المعرض درس صناعات الاسلام وفنونه فى هذه الايام فقط ولكن الغرض منه درس الصنائع والفنون الشرقية التي

كانت منتشرة أثناء الحروب الصليبية لمعرفة العلائق والروابط التى بين المدنية الشرقية والغربية في تلك الايام الخوالى وهذه الايام الحاضرة

﴿ مسلمو البوسنة والهرسك ﴾

أصدر الامبرطور فرنسو جوزيف فى يوم ١٥ ابريل سنة ١٩٠٩ أمره القاضي بمنح مسلمي البوسنة والهرسك دستوراً يتصرفون به تمام التصرف في ادارة كل مايختص بالعقيدة المحمدية وادارة أوقافهم الواسعة وادارة التعليم وفق مايشاءون ويرغبون . وتتألف لهذا الغرض مجالس عليا تضم طائفة كبيرة من العلماء الاعلام ومن سراة الاسلام يكون اختصاصها النظر في شؤون الدين والوقف والتعليم ولها أن تنشئ في البلاد والقرى مجالس أخرى صغيرة أشبه شيء بمجالس المديريات لدينا على أن يكون أعضاؤها القضاة والمفتون وكبار أصحاب المزارع

وأنما أصدر الامبرطور هذا الامر لخوفه من ارتحال مسلمي الولايتين المذكورتين الى بلاد الدولة العثمانية على أثر فصلهما منها وضمهما الى الحكومة النمساوية

أما خوف الامبرطور من نزوحهم الى تركيا فآت من كونهم يؤلفون ثاني عنصر في كثرة العدد وأول عنصر في الغنى واتساع الاملاك والتبريز في الفلاحة والصناعة فاذا ما انجلوا عن ديارهم حل بها الفقر المدقع وعجل اليها الخراب

وللتحقق من ذلك نأتي هنا على عدد الطوائف الثلاث المكونة لمجموع أهالى الولايتين : ان عدد السكان فى ولايتى البوسنة والهرسك هو ١٥٠٠٠٠٠ منهم ٣٠٠٠٠٠ كاثوليكي و ١٧٨ ٥٨٧ مسلماً وأكثر من

ستمائة ألف أرثذوكسى ونحو عشرة آلاف اسرئيلى . فالمسلمون اذن المرتبة الثانية في كثرة العدد . ولكنهم في الثروة المالية وفي سعة الامتلاك وفي انتشار الصناعة يعتبرون الطائفة الأولى . ولا شك ان خلو الولايتين المذكورتين من هذا العدد الكبير مرة واحدة يؤدى الى وقوف حركة الاعمال والى هبوط أثمان الاملاك وخلو الأراضى الزراعية من الزراعة . ويستحيل على حكومة الامبرطور أن تحل محلهم اناساً من النمساويين في مدة وجيزة وأن تستعيض بهم عن الفوائد الجمة التى كانت تعود عليها من المسلمين . ولهذا فقد رأت أن تجيبهم الى مطالبهم كافة وأن تحبب اليهم بكل مافي وسعها من ضروب الحفاوة بهم والعناية بشؤونهم

ولقد سعت الحكومة فى استزارة وفد منهم حتي اذا ماشخص الى فينا استقبله الامبرطور بترحيب لامثيل له واكرم وفادة أعضائه أعظم اكرام وعنيت بلدية فينا أشد العناية بهم وأولمت لهم الولائم الباهرة وبالجملة فقد قوبلوا وعوملوا فى عاصمة النمسا بما لم يكونوا يحلمون به قبل

وقال لهم مدير البلدية انه تسهيلا لزيارة مسلمي البوسنة والهرسك فينا سينشأ لهم جامع فخم يؤدون فيه فرائضهم فى أوقاتها

أما مسلمو هاتين الولايتين فهم كرام الاكف والطباع شجعان اولو هم شماء مجدون دائبون على العمل نشطاء أعفّاء ذوو استقامة صريحون حسنو النية مخلصون لمن يواليهم ويصافيهم لايعادون الا من عاداهم ولا يعتدون على أحد ولكنهم لايصبرون على الضيم ولا ينامون عن الثأر ومنهم تتكون أغنى طبقة في البلاد . وليس فيهم عاطل من العمل

وأغلبهم ذو براعة تامة فى الفلاحة ولذا كان معظم الثروة في أكفهم . أما نساؤهم فانهن فمع الجمال الرائق والتفنن في الاشغال اليدوية كافة ربات بيوت مدبرات وعفافهن تضرب به الامثال . وهن متأنقات في ملابسهن ولا يخرجن من بيوتهن الا قليلا لاستنشاق النسيم . وأغلبهن يلبسن الملابس ذوات الالوان الزاهية وقد أخذ فريق منهن في الخروج بغير قناع فى العهد الأخير ولكنهن لايزلن على ماكن فيه من الصون والعفاف والابتعاد عن غشيان مجالس الرجال

ومع أن مسلمى هاتين الولايتين من الأصل السلافي فمن الغريب أنهم لايحفلون بأصلهم بل ينكرونه ويعتزون الى الأصل التركي أو العربي ولكنهم اذا ذكر الدين أسرعوا بالانتساب اليه والافتخار به وهم متعصبون لدينهم تعصباً شديدا جداً ويرونه أشرف الاديان وأفضلها . وارتباطهم الشديد بالدين جعلهم لا يعترفون حتي الآن بسلطة حكامهم المسيحيين وهم لا يزالون يعتبرون أنفسهم تحت ظل الحكومة العثمانية الاسلامية . وقد كان للسلطان المخلوع محبة شديدة في قلوبهم ونفوذ عظيم

ومع هذا التدين الشديد تري آيات التسامح المتناهي بينة فى أعمالهم فان سراتهم يستخدمون فى حقولهم فئات كثيرات من الفلاحين المسيحيين مطلقين عليهم اسم « كميت » وبعض الاغنياء قد يكون في أراضيه من هذا الصنف الذى يكاد يكون رقيقاً مائة أسرة كاملة يشغلها في زراعة حقوله ولم تسمع يوماً ما أدنى شكاية من أحدهم ضد مولاه . الا أن هناك أمراً داعياً الى الاسف وهو ان هذا العنصر الكريم النبيل المجتهد قد أخذ يتناقص في جانب ازدياد العنصرين الكبيرين اللذين يناظرانه فى البوسنة

والهرسك . فعسي أن يتنبه أفراده الى الأدواء التى تسبب تناقص عددهم ويلتمسوا لها الأدوية الناجعة فأن المسلمين في أشد الحاجة الى تزايد عددهم وتكاثر جموعهم ليتقوى مجموعهم ويعظم شأنهم في العالم أجمع

مسلمو الروسيا

لقد أخذ الاسلام يعظم قدراً ويزداد انتشاراً فى البلاد الروسية . فمنذ عام ١٩٠٦ بلغ عدد الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ٥٣٠٠٠ أرثوذكسي واغلب هؤلاء الذين ارتضوا الاسلام ديناً لهم يظهرون غيرة شديدة وتفانيا عظيماً فى المحافظة عليه والعمل بقواعده والذب عن حياضه . الا أن شكوى المسلمين عامة من سوء تصرف الحكام الروسيين . ففي كل آونة تغلق أحدى المدارس الاسلامية . وفضلا عن ذلك فان المدرسين الذين يأتمرون بأوامر الموظفين يخلون بواجباتهم المدرسية ولا يعطون التعليم حقه ومع ذلك فليس الأمر مقصوراً على ما تقدم

ان روح الحكم السارى الآن لا توافق مصلحة المسلمين في شيء ما . اذ ليس لهم فى مجلس الدوما الا تسعة نواب في حين أن الحكومة الروسية لو خولتهم من الحق ما خولته سائر العناصر الاخرى وكان انتخاب نوابهم بنسبة عددهم لبلغ نوابهم في الدوما تسعين نفساً لان عدد المسلمين في كافة المملكة الروسية يتخطى الثلاثين مليوناً . ومع ذلك فما فتئوا ملتزمين خطة السكون والاخلاص فلم يبدوا علائم التذمر والغضب من هذه المعاملة الجائرة ولا قاموا في وجه الحكومة كما تفعل سائر العناصر التى تهضم حقوقها في البلاد الأخرى بل وفي الروسيا نفسها . ولكن الحالة اذا استمرت على هذا المنوال ازداد

الاستياء بالطبع وكانت النتيجة غير محمودة العاقبة . وأما من الوجهتين الدينية والاجتماعية فان الأدلة المحسوسة تبشر بتقدم مستمر . فالصحف والنشرات والكتب على اختلاف أنواعها تتكاثر وتزداد انتشاراً ما بين الآونة والأخرى . وفى قازان التى هى من أهم مراكز الحركة الحاضرة توجد مكتبة أسلامية عظيمة وملعب تمثيل تاتاري . وكذلك يوجد فى قازان وفى استراخان عضوا الدفاع عن المصالح الاسلامية وهما جريدتا « يلنيوك » و « سيشارم »

وقد وضع حديثاً الحجر الأول من المسجد الكبير الذى سيشيد في بطرس برج . ولأجل تشييد هذا المسجد اكتتب مسلمو روسيا بعدة مئات الألوف من الروبلات . واكتتب أمير بخارى وحده بثلاثمائة ألف روبل لهذا الغرض الشريف وقد اشتريت بالمبلغ الذي دفعه الأمير قطعة أرض فسيحة فى جهة كرون فرسكي . وكان الاحتفال بالبدء فى العمل بالغاً منتهي الأبهة والجلال وقد حضره عدد جم من أعاظم المسلمين الذين هم في بطرس برج وممن جاءوا لحضوره من الجهات القاصية ووضع الحجر الأول أمير بخارى والحجرين الثانيين مفتى أوفا ومفتي أورنبورغ والحجر الرابع سفير الدولة العثمانية . وكان بين الحضور الحاج محمد وف النائب في الدوما ورئيس الحزب الاسلامى وسفير العجم والضباط المسلمون في حامية تلك العاصمة حيث يوجد ٢٨٠٠٠ مسلم مشتغلون فى كافة الاعمال والصنائع وهم معدودون في سائر الطبقات . وأول مرة خطرت فيها فكرة العمل لا يجاد مسجد في عاصمة الروسيا كانت في عام ١٩٠١ وسينتهي تشييده فى سنة ١٩١١ . أما شكله فمربع على نسق

مساجد سمرقند وله مأذنتان ويسع ٣٠٠٠ مصل وسيكون فيه محل خاص بالنساء

﴿ بين الروسيا وفارس ﴾

ان الاستياء العام فى الشعب الفارسى ضد الروسيا بالغ منتهي الشدة وذلك لان هذه الدولة دلت بأعمالها الموجهة ضد فارس على أنها عدوة لدودة للاسلام في كل مكان وأن مطامعها الا شعبية لاتنفك عن الاستمرار فى سبيلها المتجه نحو الاستيلاء على كافة البلاد الاسلامية المتاخمة لها . ويقول الفارسيون انهم لايخشون بأس أية دولة أخرى كما يخشون باسها لان الانجليز مع ماهو معلوم عنهم من حب الاستعمار والتطلع الى الاستيلاء على كل دان وقاص ليس في وسعهم الآن أن ينزلوا بحارتهم الى جنوب فارس في حين ان الهند مضطربة وعلى وشك الهبوب العام . ومن جهة الغرب لايخشون من تركيا التى منذ استتب في ربوعها الدستور أظهرت ميلا واخلاصاً شديدين لهم وليس لها هم الاَّ في توطيد السكينة فى ربوعها

ولقد توجه الضباط الفارسيون الى مجلس النواب وطلبوا من أعضائه فصل الثمانية والعشرين ضابطاً والثلاثة والستين صف ضابط روسي الذين هم فى الجيش الفارسى محافظة على الشرف الفارسي العسكري وقياماً بواجب حب الوطن . وقد عزم المجلس بالفعل على الشروع في فصل هؤلاء الضباط وصف الضباط الروسيين والاستعاضة عنهم بسواهم من العثمانيين والالمانيين وأبتدأت المداولات في هذا الصدد

ومما ينعاه الفارسيون على الروسيا ايواؤها رحيم خان زعيم الرجعيين

وعدو الدستور الالد بعد ان هزمه باكر خان القائد الدستوري في آهر . فان الروسيا كانت قد تعهدت لحكومة الدستور الفارسية بمنعه من التخطي الى بلادها ولكنها أخلت بهذا التعهد لأنها قبلت رحيم خان بمجرد التماسه من والى القوقاس السماح له بالالتجاء اليه . وحينما طلبت حكومة فارس هذا الآبق باعتبار أنه مجرم عادي أخل بالنظام وقتل أنفساً بريئة بغير حق ومن الواجب محاكمته أبت الروسيا تسليمه بحجة أنه مجرم سياسى . كل هذا مما أحفظ الفارسيين على جيرانهم

الفلسفة والتاريخ

حياة روسو

تتمة البحث

لحضرة الكاتب الفاضل صاحب التوقيع

كانت الايام التى قضاها روسو فى صومعته من أسعد أيامه لولا عارض عرض جنى به روسو على نفسه . ذلك أنه تدله في حب فتاة هي أخت مدام ديبينى على فرط جفائها له فلما زاد هيامه وزاد جفاؤها لم يسعه إلا أن أقدم على هتك عرض الفتاة عنوة فهتكه وفضح نفسه فضيحة لم يستطع معها البقاء بصومعته فهجرها الى حيث يطيب له المأوى

وقد كانت له يومئذ معرفة بدوق لكسمبرج فكفله هذا وكفاه

مؤونة الجد وراء العيش وبذلك انقطع روسو الى التأليف والتصنيف فاخرج للناس كثيرا من أفضل ما كتب الكتاب فأنه فى سنة ١٧٦٠ اصدر كتاب NOUVELLE HELOISE نوفل هلواز وعززه بكتابه في التربية المعروف بكتاب أميل القرن الثامن عشر . وأميل هذا اسم فتى تخيله روسو وجعله مثالا لما ينبغي أن يكون عليه فتى القرن الثامن عشر من التربية والاهبة لمكافحة الايام . وقد كان من تأثير هذا الكتاب وما ضمنه روسو من الحكمة والاراء الصائبة فى التربية ان لويس السادس عشر ملك فرنسا يومئذ تعلم صناعة وتعلم غيره من أهل الاسرة المالكة واصهلوها مثله حتي أنهم في محنتهم بعد هبوب الثورة الفرنسية كانوا يعلنون أنهم مدينون لروسو بحياتهم

ولكن كتابه هذا على ما كان له من الاثر في تأهيل الآخذ به الى الاستقلال الذاتي والى التربية الدنيوية الفاضلة لم يكن ليرضى الاكليروس لما كان فيه من الاعتزال عن مذهبهم الموروث مذهب الارثوذوكس الصميم ولكى يدرأوا عنهم غوائل مايرمي اليه ذلك الحكيم المبرز عمدوا الى احراق هذا الكتاب وكذلك يفعل المستبدون وان في ذلك عبرة وردا على من يقولون ان الاسلام لا الدين المسيحي هو الذى قيد حرية الافكار وكم الافواه وأنه ما كان متسامحا مع العلم !

هكذا كان شأن الرهابين أزاء هذا الكتاب ولكنه كان أيضاً شأن جماعة الكتاب المسمين يومئذ « الانسيكلوبيدست » وهم فئة الماديين وما أدراك ما الماديون ؛ هم أولئك الذين كان يرأسهم ريدرو الكاتب الالحادى الصميم

صادف روسو من ذينكما الفريقين اضطهادا شديداً لم يستطع معه البقاء في باريس وكيف يستطيع وقد تآمر أهل الدين على قتله واراحة أنفسهم منه وكيف يبقي بباريس لحظة وقد أحل القساوسة قتل نفس حرم الله قتلها . وهم عالمون ؟

هاكم اقرأوا كتابه . انه كان يؤمن بالله وباليوم الآخر ويؤمن بالمسيح عليه السلام ولكنه ما كان يستطيع أن يفهم ان ابن مريم اله

فر روسو من باريس الى مسقط رأسه ولكنهم هناك أبوا عليه الاقامة فذهب الى مدينة برن ولكنهم أيضا اضطروه للرحيل فرحل عنها الى نيوشاتل فاضطهدوه اضطهاداً غير أنه كان قد يئس من أن يلاقى في غيرها راحة فأصر على البقاء بها بالرغم مما كان يصادفه من العنت والارهاق . ومما زاد الطين بلة أنه فى هذه المدينة نزع عنه رداءه الباريسي وخالف عادات قومه مخالفة وتلبس الارمنية فارتدى رداءهم ومشى فى الطرقات بين أعدائه وأضداده راضيا بالسخرية والمقت . ولبث برهة في نيوشاتل ثم غادرها الى سان بيير وفيها رخص له بالعودة الى باريس

عاد روسو الى باريس فقابله أهلها بالحفاوة والتكريم ولكنه مالبث أن أشير عليه من طرف خفي بالرحيل عن المدينة عاجلا

ما آب من سفر الا وأزعجه عزم على سفر بالرغم يزمعه

فحار لم يعرف أي أرض ترتضيه وأى مكان يؤويه حتي أتاح الله له مخرجا من بأسائه بدعوة أتته من صديقه هوم فيلسوف انجلترا يومئذ وسرعان ما أجابها برحلته هو وزوجته الي انجلترا حيث قضي بعض أيامه معه فى مقاطعة شزويك ثم في ووتون بمقاطعة دربي شير ومما يحسن ذكره

هنا انه اثناء مقامه في ضيافة صديقه المذكور صنف الكتب الستة الاولى من تأليفه المعروف بـ«الاعترافات»

وكان من طبع روسو ان يختلف مع اخوانه ويشتجر معهم مؤثرا احقاق رأيه على تحقيق صداقتهم وقد اداه ذلك المسلك الى التجادل مع هوم على أمر ما تجادلا عنيفا كان سببا في تعجيل رحلته عن انكلترا ولكنهم يعزون ذلك الى سبب آخر هو ان زوجته كانت قد سئمت العيش في انكلترا لجهلها بلغة البلاد وعادات القوم وتنظمها فيما تجب فيه الاناة والتؤدة وحسن التفكر

ففي سنة ١٧٦٧ غادر روسو انكلترا وعاد الى فرنسا ليقطن في مدينة أمين ثم رحل عنها بعد ذلك الى غيرها من المدن حتى القى به التسيار سنة ١٧٧٠ الى باريس بترخيص من ذوي السلطة مقتضاه انه يجوز له المقام بالعاصمة على شرط ان يخلع عنه الرداء الارمني وان لا ينشر من الكتب شيئا

قلنا انه صنف كتبه الستة الاولى من «الاعترافات» في انكلترا اثناء ضيافته على هوم ونقول انه أتمها في تجواله ولكن لم يشهد طبع هذه الكتب قبل وفاته فان الجزء الاول منها طبع في سنة ١٧٨١ والثاني في سنة ١٧٨٨

أما هذه الكتب فلا يمكننا ان نذكر عنها شيئا في هذه المجالة سوى انها كانت مدونات ذكر فيها روسو تاريخ حياته الظاهر منها والباطن بلا حياء ولا خشية

كان يقول اني فسقت وسرقت وكذبت وآذيت وخنت الخ ها هنا لك ذاكرا كل حادثة بالتفصيل ولا شك ان هذا العمل غريب جدا وقل أن يأتي بمثله غيره. وكان المترجم يقطن غرفة واحدة استأجرها في الدور الرابع من منزل

في شارع روبلاتيه بمدينة باريس

وكانت هذه الغرفة في غاية من القذارة ليس فيها من الاثاث الا الحقير الدنيء وكان لا يرخص لاحد من اخوانه بزيارته لانه كان يشك فيهم ويتهمهم بالخيانة

وكان على فقره المدقع وعوزه الشديد يأبى أن يتناول من أحد بسعاة كف يستعين بها على العيش

ولما لم يكن مباحا له ان يؤلف أو يصنف شيئا ينشره في بلاده ويتناول من دور الطباعة ما يعيش به لم يجد امامه الا مهنته الاولى (نسخ نوتات الموسيقى) وبيعها فاتخذها مرتزقا وكذلك كان يحصل على ما يسد به رمقه

أما (تريسا) زوجته فكانت قد بلغت في هذه الاثناء مبلغها من القحة والفظاظة فلم تكن تعامله الا بالقسوة والخشونة

وكانت كذلك قد بلغت من الغباوة اقصاها ومن البلاهة منتهاها فزادت حياة روسو شقاء وبأساء وأخيرا مرض مرضا افقده القدرة على نسخ النوتات وبذلك فقد الوسيلة الاخيرة لتحصيل العيش

فلما رأى صحبه ذلك عمدوا الى اقناعه بوجوب قبوله منة بيت مشهور في باريس يدعى بيت جيرارد ن فقبلها بالرغم منه

وكان أصحابه يرجون بذلك أن تعود له صحته فيعود الى مثل حاله بينهم ولكنه وجد ميتا في يوم ٢ يولية سنة ١٧٧٨ بعد شهرين من مغادرته باريس وسكناه في أرمونفيل غير ان موته هذا كان موضوعا للشك والارتياب فقد ذهب بعضهم الى انه لم يمت بداء السكتة كما قال الاطباء بل برصاصة اطلقها هو على نفسه لوقوفه على أمر تأكد له فيه خيانة تريسا له

هكذا كانت آخرة روسو رجل فرنسا وفخرها بل منشيء فرنسا الجديدة لما كان لكتاباته من الأثر في اثارة الثورة الفرنسية الرهيبة تلك التي قررت حقوق الانسان وافاضت نور الحرية على العالمين

وكل من اطلع على كتابات المترجم يعلم أنه هو الذي قضى على ما كان في القرن الثامن عشر من التصنع والتعمل في المعنويات والحسيات . نعم انه ذلك الذي حبب الى اوربا الراقية بهاء الطبيعة ورواء مناظرها وقال عودوا الى الفطرة فانها كفيلة بالسعادة لمن سار معها ثم انه عرف أوربا معنى «السنتمانتا لزم» وهو الاحتكام الى العواطف في الكتابة ويقول الفرنسيون انه هو الذي جعل الادب الفرنسي بهجا بما اودعه من الخيالات والوجدانيات وقد ظهر ذلك باجلى وضوح في كتابات تلميذه الشهير برناردن سان بيير والذي يقرأ شعر لامارتين يجد انه نظم شعرا ما كتب روسو نثرا

فكل ما يمكن أن يناله لامارتين هذا الشاعر الكبير صاحب الروايات البديعة والوجدانيات التي تسحر اب كل متأدب راجع في حقيقته الى روسو بل كأنه هو روسو

الف روسو في حث القوم على الرجوع الى الطبيعة كتبا أبان فيها مساوئ الحالة الاجتماعية يومئذ وما فيها من قبح مستملح وعادات ليست من الفضيلة في شيء واشار فيها الى الاسباب التي اقتضت فساد المجتمع وشقاء أهله

وقد بلغت هذه الكتب من نفوس قارئيها أهل الادب يومئذ مبلغا عظيما اصبحوا معه يتمنون أن لو تنقلب الارض انقلابا تكتسح معه أعمال الانسان فيما مضى وان يضعوا أساس مدنيتهم من جديد على شكل ترتضيه النفوس الفاضلة والطبيعة الانسانية الطاهرة

وكذلك جرت كتاباتهم حقبة من الزمان حتى وضعوا اساس «حقوق الانسان» ذلك المبدأ الذي أذن في فرنسا بقدوم الثورة الفرنسية الرهيبة

غير أن روسو وان كانت كتاباته قد أحدثت هذه الثورة لم يكن يقول بقتل النفوس واسالة الدماء باي حال من الاحوال انما كان يريد أن يحدث الانقلاب على يد التربية التهذيبية والنشوء العلمي

علمنا شيئا كثيرا عن اخلاق روسو بما دونه هو عن نفسه في اعترافاته ولكن في الكتاب الاخلاقيين من يقول انه كان رجلا صافي السريرة مخلصا يعشق الفضيلة ويعرف الحق فهو لا يأخذ عليه ذنوبه الا قليلا علما منه انها شيء مما يأتيه غيره من الذين نوه التاريخ بفضلهم وكان يجعلهم في مستوى الاولياء لما انهم لم يكشفوا عن سيئاتهم كما كشف روسو النقاب

لو أن روسو لم يعمد الى تدوين تاريخ حياته على النحو الذي ذكرناه لكان نصيبه نصيبهم من التقديس ولكن في الكتاب من يؤاخذونه تبجحا من طرف خفي ويدعوى أنهم اصفى نفسا وأطهر بنانا وهو اثم كبير

لم يعمد روسو لتدوين سيئاته الا حبا منه في الفضيلة

رأى الناس يستهينون بالكبائر اذا أتوها في السر فاراد أن يعرفهم حقيقة جرمها لتصور مساوئ الانسان ضاربا نفسه مثلا وجاعلا سمعته فداء للفضيلة عسى أن يقصروا من غلوائهم ويذكروا فظاعة الجرم الذي يقترفونه في السر فينتهوا عنه . ثم أمن المعقول أن يعمد رجل مفكر كروسو لكتابة تاريخ حياته على هذه الصفة دون أن يكون له غرض شريف ؟

أما والله لئن كان الناس قد أخذوه على اعترافاته لقد غفر الله له بعض ذنوبه بها وأثابه عليها

ابرهيم رمزي

هدية حافظ ابرهيم

﴿ لجمعية رعاية الاطفال ﴾

شبحا أري أم ذاك طيف خيال ... لا — بل فتاة بالعراء حيالى

أمست بمدرجة الخطوب فمالها ... راع هناك ومالها من وال

حسري تكاد تميد فحمة ليلها ... ناراً بأنات زكين طوال

ما خطبها عجبا وما خطبي بها ... مالي أشاطرها الوجيعة مالى

دانيتها ولصوتها في مسمعى ... وقع النبال عطفن أثر نبال

وسألتها من أنت وهى كأنها ... رسم على طلل من الاطلال

فتململت جزعا وقالت حامل ... لم تدر طعم الغمض منذ ليال

قد مات والدها وماتت أمها ... ومضى الحميم بعمها والخال

والى هنا حبس الحياء لسانها ... وجرى البكاء بدمعها الهطال

فعلمت ما تخفى الفتاة وانما ... يحنو على أمثالها أمثالي

ووقفت أنظرها كأنى عابد ... فى هيكل يرنو الى تمثال

ورأيت آيات الجمال تكفلت ... بزوالهن فوادح الاثقال

لاشيء أفعل فى النفوس كقامة ... هيفاء روعها الاسى بهزال

أو غادة كانت تريك اذا بدت ... شمس النهار فأصبحت كالآل

قلت انهضى قالت أينهض ميت ... من قبره ويسير شن بالى

فحملت هيكل عظمها وكأننى ... حملت حين حملت عود خلال

وطفقت أنتهب الخطي متيمما ... بالليل دار رعاية الاطفال

أمشي وأحمل بائسين فطارق ... باب الحياة ومؤذن بزوال

أبكيهما وكأنما أنا ثالث ... لهما من الاشفاق والاعوال

وطرقت باب الدار لامتهيبا ... أحداً ولا مترقباً لسؤال

طرق المسافر آب من أسفاره ... أو طرق رب الدار غير مبال

واذا بأصوات تصيح ألا افتحوا ... دقات مرضى مدلجين عجال

واذا بأيد طاهرات عودت ... صنع الجميل تطوعت في الحال

جاءت تسابق فى المبرة بعضها ... بعضا لوجه الله لا للمال

فتناولت بالرفق ما أنا حامل ... كالأم تكلأ طفلها وتوالى

واذا الطبيب مشمر واذا بها ... فوق الوسائد فى مكان عال

جاؤا بأنواع الدواء وطوفوا ... بسرير ضيفتهم كبعض الآل

وجثا الطبيب يجس نبضا خافتا ... ويرود مكمن دائها القتال

لم يدر حين دنا ليبلو قلبها ... دقات قلب أم دبيب نمال

ودعتها وتركتها فى أهلها ... وخرجت منشرح الصدر خالي البال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا ... للباقيات وصالح الاعمال

لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها ... تلك المروءة والشعور العالى

خير الصنائع فى الانام صنيعة ... تنبو بحاملها عن الاذلال

واذا النوال أتى ولم يهرق له ... ماء الوجوه فذاك خير نوال

من جاد من بعد السؤال فانه ... وهو الجواد يعد في البخال

لله درهم فكم من بائس ... جمّ الوجيعة سيء الاحوال

ترمي به الدنيا فمن جوع الى ... عرى الى سقم الى اقلال

عين مسهدة وقلب واجف ... نفس مروعة وجيب خال

لم يدر ناظره أعريانا يرى ... أم كاسيا فى تلكم الاسمال